الثورة
www.althawranews.net

غـــــــزل

ليلى إلهان

- 1 -
الشمس نائمة
السلام يضع نفسه
على مقبض باب الجنة
نفسي تلك الصغيرة
تعلو الصباح
- 2 -
الورود كثيرة هذا المساء
متى البنفسج سيتفتح
- 3 -
قدر تلك الذكريات
أن ترمى في سلة المهملات
لماذا ذاك الطفل يلعب
- 4 -
كان الشاطئ هادئاً
زكام أنفي هو من كان
يعطس ويموج
ثمة عافية بعيدة
- 5 -
فيروز تغني ما أصعب أن يكون الصباح لاهثا
وراءنا
القطة السوداء تبدأ مساء بالرقص
- 6 -
أحبك كثيراً
لم يكن يدري أنك ترميه بقسوة
تحت رفاهية العالم ومظالم النساء
- 7 -
العصفور النائم فوق الشجرة
يركض ليلاً حتى لا يغضب الفجر
بموسيقى صوتي
- 8 -
لا شيء يتبع النهاية
سوى أبطال المشهد الأخير
من فيلم العودة
- 9 -
لا شيء تحت هذه الشمس الحارقة
سوى نوافذ منزلي / وأبواب قلبه
ثمة رجل عاشق ينتظرني
- 10 -
المعطف الملون الذي اخترته لي
في زيارة العيد
وجده عندك معلقاً خاسراً يستغيث
- 11 -
صوت الحب , هل كان عليّ أن أغني ..؟
-12-
العواصف العاطفية مرت
ما كان هذا الشيء المكسور
-13-
النجمة التي كانت على الأرض
تعلو بمجرد أن الربيع فر
-14-
لا يعلم ذاك الهدوء
أنهم يرقصون في سماء قلبي
-15-
الطفل الذي يسكن البيت
الشتاء يزوره ويحلم بالدفء معه

تونس .. بعد ثورة الياسمين

هشام علي

عند الوصول إلى مطار "قرطاج" في تونس، أخذت أتأمل المدينة، بحثاً عن إجابات للأسئلة الكثيرة التي جالت في رأسي خلال رحلة الطيران المرهقة والطويلة، من صنعاء إلى تونس، عبر مدينتي عدن، وإسطنبول، كانت الساعات الطويلة من الطيران والوقوف، تشحذ الذهن بالأسئلة والأفكار والذكريات التي تمعن في القدم.
فمنذ قرابة ثلاثين عاماً، كانت رحلتي الأولى إلى تونس، للمشاركة في ندوة "ابن رشيق" للنقد الأدبي في مدينة القيروان.
ولهذه التجربة أثر كبير في مسرى الفكري والأدبي.
إذ إنها دفعت في اتجاه الاختيار والحسم لعالم الأدب والنقد، بعد أن كانت نظريات الفيزياء وتطبيقاتها تشدني، بحكم الدراسة والعمل، في اتجاه آخر.
وكان للأخ والصديق عمر الجاوي دور في هذا الانحياز للأدب والنقد.
فقد دعاني إلى مقر اتحاد الأدباء ليعرض عليّ المشاركة في هذه الندوة النقدية وقال إنه قد أرسل اسمي إلى اتحاد الكتاب في تونس، وأن عليّ إعداد دراسة في أحد محاور الندوة.
لا داعي للحديث عن مدى المسئولية والثقة التي وضعها الأستاذ عمر الجاوي، علي كاهلي، فهذا الاختيار لكاتب شاب، من بين أسماء كثيرة وكبيرة، كان يتضمن دلالات خاصة حاول الجاوي البوح بها دون النطق بها، وكانت بداية علاقة فكرية استمرت حتى وفاته، بل إلى بعد وفاته.
حيث لا يزال عمر الجاوي وميراثه الفكري والسياسي دليل عمل ومنهج استرشاد.
في ملتقى ابن رشيق النقدي تعرفت على كثير من الأدباء التونسيين الشباب، الذين كانوا يحملون مشاريع كبيرة للمستقبل، وبالفعل، تمكن عدد منهم من تحقيق تلك الأحلام، ولكن، مع الأسف، خارج تونس، حيث تكوّنت بذور المشاريع وتشكّلت الأمنيات والأحلام.
لقد تابعت مسار كثير من أولئك الأدباء الذين عرفتهم في ذلك الملتقى.
استطاع عدد منهم أن يحقق نجاحاً في مناحي الإبداع المتعددة.
وكانت تلك ميزة ذلك الملتقى النقدي، فالمشاركون ليسوا نقاداً ودارسين فحسب، ومنهم كتاب وأدباء في مجالات الأدب والفكر، جاءوا إلى مدينة القيروان الشهيرة بمعالمها الإسلامية وجامعها الكبير، وتبيّن شواهد المدينة ومعالمها، أن لليمنيين أثراً كبيراً في تشييد ذلك الجامع وغيره من المعالم.
ويمكن القول إن قوساً من الهجرات المتواصلة امتدّ بين اليمن وتونس، ليس مع جيوش الفتح الإسلامي وحسب، ولكنها سبقها بقرون عديدة، ترجع إلى رحلات بني هلال الشهيرة، التي خرجت من اليمن واتجهت شمالاً، بعد أن أجدبت الأرض وقلّ الزرع، فخرجت هذه القبائل واتجهت نحو بلاد المغرب العربي بحثاً عن الماء والزرع.
ونجد كثيراً من الآثار والمواقع التي تحمل أسماء يمنية، فمدينة "سوسة" الشهيرة كانت تحمل اسم "حضرموت" وهناك مواقع بني تميم.
كذلك نلاحظ كثيراً من الكلمات العامية تتفق في معانيها مع الكلمات العامية في اليمن.
كان ملتقى ابن رشيق يعبر بالفعل عن اسمه، فقد كان مناسبة للقاء عدد من الأدباء والمثقفين العرب، الذين جاءوا من خارج تونس، وكان هناك الأدباء والمثقفون الفلسطينيون الذين يعيشون في تونس، وذلك في أعقاب حرب بيروت 1982م، حتى خرجت القيادة الفلسطينية لمنظمة التحرير إلى تونس، وخرج معها العديد من أبناء الشعب الفلسطيني إلى تونس، وإلى اليمن أيضاً بشطريه.
التقيت بعدد من الأدباء الفلسطينيين الذين عاش بعضهم في اليمن وكانوا يحملون ذكريات طيبة عن اليمن وأهلها، الكاتب والروائي يحيى يخلف، صاحب رواية "نجران تحت الصفر" كان من أوائل الذين التقيتهم في تونس، وقد سأل كثيراً عن اليمن وأدبائها، وروى كثيراً من ذكرياته في مرحلة الشباب، حين عمل مدرساً.
الشاعر أحمد دحبور كان يحمل ذكريات أكثر قرباً، فهو كان مع المجموعة التي خرجت من بيروت إلى عدن ثم رحل بعدها إلى تونس.
الشاعر دحبور تحدث كثيراً عن سيرة بني هلال، وقد قدّم بحثاً عن هذه السيرة الهلالية ينطلق من "سيناء" وتراثها الفلكلوري، لكنه أضاف أثناء النقاش، أن هذه السيرة تظل ناقصة، لأن أصل الهجرات الهلالية انطلقت من اليمن وأن تراث هائلاً من الحكايات والأشعار يحتاج إلى البحث والجمع.
وبعد عودتنا من القيروان، نظّم لي اتحاد الكتاب ندوة في مقر الاتحاد، وهناك تعرفت على الكثير من الأدباء والمثقفين وعرفت كثيراً من أفكارهم واتجاهاتهم، كما أحسست بأن شيئاً جاثماً على صدورهم، يكمّم الأفواه، ويحجب الأفكار، فما نراه في الظاهر في مناخ أوروبي، حرص الحبيب بورقيبة "الرئيس الأسبق لتونس، على اتباعه ونهجه، لم يأخذ من ثقافة الغرب سوى القشور، بينما كانت الحرية وأنوار العقل غائبة أو محرّمة، شعرت أن المثقفين كانوا يقولون همساً حديثاً آخر مختلفاً، أكثر عمقاً وأشد رصانة. وهذه الحرية الغائبة هي سبب الهجرة بكل تأكيد، وقد ذكرت سابقاً أن كثيراً من الذين عرفتهم في هذه المرحلة الأولى إلى تونس، أصبحوا اليوم في خارجها وأصبحت لهم مواقع أدبية رفيعة في البلاد التي يعيشون فيها.
كانت مشاهداتي في تونس مليئة بالانبهار، جمال المدينة وروعة طبيعتها، الحياة والناس المنتشرون في الشوارع والحدائق، المقاهي الكثيرة التي تشعر أنها تمثل نمطاً من أنماط العيش والسلوك في المدينة، وكانت تمتلئ بالفتيات والفتيان.
كان المنظر في بولفار الحبيب بورقيبة مثيراً للإعجاب، شارع عريض يتوسطه رصيف كبير يمتلئ بأماكن بيع الأزهار وبامتدادات المقاهي التي تخرج من جدرانها لتطل على الشارع.
أشياء كثيرة جميلة تحاصر العين التي تعجز عن المتابعة والرصد.
كانت جميعها تثير الدهشة والانبهار في عين شاب مثلي جاء من اليمن وقد هجر الجمال مدنها، بل إن هذه المدن أخذت تفقد هويتها كمدينة، كانت تتزين، بسبب الهجرة من الريف إلى المدينة، ولكن بسبب توقف العمران ومظاهر الحداثة فيها.
وعلى الرغم من مظاهر الجمال التي شاهدتها في تونس، وأشكال الحيوية والحضور في شوارعها ومقاهيها ومسارحها والشابات، أحسّ بقلق وخوف يحجب بريق الفرح في عيونهم.
ثمة شعور بالملاحقة والخوف من المجهول، وبالفعل أدركت في نهاية الرحلة مدى القوة البوليسية في هذه المدينة الرائعة، مدينة الزهور والياسمين. هذه القوة التي قتلت الفرحة في نفوس الشباب لم يعد البنفسج يقدر على إثارة الشعور بالبهجة حسب ما كان يقول شاعرهم الكبير بيرم التونسي!
كان الرئيس الأسبق بورقيبة يحمل توجهات ليبرالية، وكان يسعى بضم تونس إلى شمال البحر الأبيض المتوسط، إلى أوروبا بما تمثل من ثقافة وسياسة وتجارة، ونعلم اختلافه الشديد مع التيار القومي العربي الذي كان يمثله الرئيس جمال عبدالناصر بما يحمل من قيم التحرر والوحدة والاشتراكية والموقف من قضية فلسطين، بينما كان بورقيبة يقف في الاتجاه الآخر، ليس اتجاه الرجعية العربي والاستعمار، ولكن اتجاه الليبرالية والفرنسية والموقف النادر من قضية فلسطين.
وكان بورقيبة قد قام بالمبادرة الخاصة بحل قضية فلسطين على أساس دولة غزة – أريحا التي ظهرت بعد أكثر من عشرين عاماً على مبادرته وذلك في إطار اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير والكيان الصهيوني.
إلا أن مشروع بورقيبة السياسي والثقافي المتجه غرباً، لم يهتم بقيم التنوير والعقلانية وحرية الفكر والتعبير، فبقيت دولته دولة بوليسية اتشحت بمظاهر الحداثة الخارجية دون جوهرها الفكري.
كانت دولة بورقيبة نموذجاً للحداثة الناقصة، مضافاً إليها المعوقات البوليسية لحرية الفكر والتعبير.
تكررت رحلاتي إلى تونس عدة مرات، وفي كل مرة كنت ألاحظ عناق الجمال والخوف في عيون الناس، حتى في مرحلة مابعد بورقيبة، واستيلاء زين العابدين بن علي على الحكم، لم يكن تغيير ملموس في البلاد، خاصة في شأن الحرية، وليس قمة غرابة فالرئيس بن علي هو صاحب اليد البوليسية في عهد بورقيبة.
هناك تغييرات في بعض مظاهر المدينة، فالتمثال الكبير للرئيس بورقيبة وهو فتى صغير يحمل حقيبة مدرسية، تم استبداله بساعة كبيرة، محلات الزهور التي كانت تملأ أرصفة شارع بورقيبة اختفت غالبيتها، لم يعد نهر الأزهار الجميلة يشق ذلك الشارع الطويل، الذي احتفظ باسمه رغم غياب تمثال بورقيبة الذي كلان بتصدّر مدخل الشارع.
من المفيد أن نذكر هنا بعض الإصلاحات التي تحققت في عهد بن علي، فإذا كان هذا النظام لم يحقق إصلاحاً سياسياً في نظام الحكم أو لم يعمل من أجل الديمقراطية والتعددية الحزبية، كما كان مؤملاً من بيان التغيير الذي أعلنه يوم وصوله إلى الحكم، لكنه استطاع أن يحقق إصلاحات أخرى لاتقل أهمية عن الإصلاح السياسي، فتونس كانت من أوائل الدول العربية التي قامت بتغيير مناهج التعليم وإصلاحها بحيث تصبح متناغمة مع العصر وعلومه ومعارفه.
كذلك حققت تونس اندماجاً في مجتمع المعرفة وثورة الاتصال، وقد رأينا انعكاسات ذلك في ثورة التغيير التي قادها الشباب وكان للوسائط والتقنيات الحديثة دور مهم فيها.
كذلك احتلت الثقافة موقعاً جيداً في عهد ابن علي، وقد وصلت الموازنة الخاصة بوزارة الثقافة إلى 1.5% من الموازنة العامة للدولة، وهي نسبة تتفوق على كثير من الموازنات في العالم العربي وخارجه.
كما أن تيار الحداثة الفكرية كان غالباً في الحياة الثقافية، وكان لمشاركة المرأة وحضورها الثقافي والفني مكانة مهمة.
وأذكر بهذه المناسبة أن الرئيس السابق بن علي قد كرّم عدداً من المفكرين والعلماء في حفل اختتام مدينة القيروان كعاصمة للثقافة الإسلامية، وكان من بين هؤلاء المكرمين الفنانة التونسية المتألقة هند صبري، وكان تكريمها يحمل دلالة مهمة ويعبر عن رؤية واسعة ومتنوعة للثقافة الإسلامية.
الزيارة الأخيرة لتونس كانت منذ أسبوعين فقط، وكانت لفترة قصيرة ومحدودة أخذت أنظر في كل الاتجاهات متملياً في وجوه الشابات والشباب، ومتأملاً ذلك الجيل من الكبار، الذين خرج صاحب المقهى صارخاً باسمهم: "بن علي هرب! لقد هرمنا".
لقد حملت عبارته العفوية تحليلاً دقيقاً لثورة الشباب في تونس، التي أشعلت نيران الثورة في العالم العربي، ذلك الشيخ الهرم عبّر بصوت عال، ليس عن هرمه الشخصي، بل عن هرم وشيخوخة جيل كامل خرج مع بورقيبة في نضاله ضد الاستعمار، وعاش تجربة الاستقلال بكل أثقالها الوطنية التي جعلت الأطفال شيوخاً.
السلطة هرمت كذلك وشاخت، رغم ملذات الحكم وقوة الهيمنة والجبروت التي تمثلها، لكن العجز كان يأكلها من الداخل، فقد تحققت مقولة ابن خلدون عن الدورة التاريخية للدولة التي تنتهي إلى العجز والشيخوخة، ورغم محاولة بن علي تجديد شباب النظام البورقيبي، ورغم ما قام به من إصلاحات في نظام الحكم، لكن هيهات أن يتمكن من التحكّم بالزمن والشيخوخة، هذا هو ما جرى في ثورة الربيع التونسي، التي جاءت في الشتاء وليس في الربيع ولكن الهيمنة الغربية التي تحرص دائماً على كتابة تاريخ العالم الثالث وفقاً لرؤيتها المركزية لتاريخ العالم التي تقوم على اعتباره نسخة مكررة لتاريخها، منحت ثورات الشباب العربي هذه التسمية، التي أطلقت على ثروات الشباب في أوروبا 1968م التي سميت آنذاك بثورات الربيع، وقد جاءت فعلاً في زمن الربيع.
كانت الثورة في تونس، والثورات العربية اللاحقة في مصر وليبيا واليمن، تعبيراً طبيعياً عن توازن مختل إلى حد السقوط والانهيار، بين شعوب شابة وأنظمة شائخة، لا تتعلق المسألة بالنسبة للشباب بالعمر فحسب، ولكن بشباب الفكر والوعي وتجدد النظام المعرفي الذي يعيشون في سياقه، فقد انفتح الشباب على الثقافة الكونية ودخلوا في المناخ العولمي القائم على الحرية والحق في التغيير والمشاركة المدنية في السلطة، ولذلك خرج الشباب إلى الشارع يدعون إلى التغيير ويطالبون الحكومة أو السلطة بالإنصات إلى إيقاع العصر وأنغامه المتجددة.
إلا أن السلطة الشائخة عجزت حتى عن محاولة الدخول إلى حلبة الرقص التي ينظم إيقاعها الشباب، وكان الهرب أو القفز من السفينة الغارقة هو الاختيار الوحيد الذي لجأ إليه الحاكم.
لم تعد تونس أرض الخوف كما رأيتها في المرات السابقة. لكن قلقاً شديداً وخوفاً عميقاً ما يزال يسكن في عيون الشباب، فالمشهد الآتي لايزال مليئاً بالضباب والمستقبل لايزال فاعله الحاسم مبنياً للمجهول!

الأستاذ الفقيد عبدالله علوان..

المرشد الثقافي وملهم الأجيال

بشير المصقري

لا يختلف اثنان على تلك الخسارة التي مُنيت فيها الساحة الأدبية والثقافية برحيل الأديب والناقد الكبير الأستاذ عبدالله علوان وهي الخسارة التي لايستطيع المثقفون والأدبـاء حصر مساحتها أو تحديد الفراغ الكبير الذي خلفه الفقيد ذلك الإنسان والأب وقد أدى رسالته بصمت تجاه وطنه وزملائه وأبنائه الأدباء بطول اليمن وعرضها دونما السعي لوصولية إلى موقع أو الجري لمنصب في زمن المزايدات والمصالح التي استحكمت الحياة الثقافية والأدبية للأسف بل ولم يشك أو يشتكي من الأهمال وقد تجاوز حقه في حياته ..
وهكذا هو المثقف العضوي الواعي بفحوى المهمة ومعنى أن تكون مفكراً ومثقفاً ومنظراً يتحسس أماكن الخلل الثقافي وينقب عن مضنيات الحالة الأدبية بكل تفان وبضمير يستلهم شعاعة من وهج الشمس , أتحدث عن الفقدان المرير هذا واتذكر في لحظة سماعي بنبأ وفاته ليتداعى في بالي التشابه الكبير مع فاجعة رحيل البردوني في صباح مماثل من العام 99م ربما لأن العظماء لا يتشابهون في حياتهم مثلما يكون التشابه في رحيلهم ولم يك بد في دقائق سريان خبر الرحيل بين الأدباء من الأسى الذي هبط على قريرتي حينما نقل لي الخير الاستاذ محمد القعود والدموع تنهمر من عيونه وأين أمام وزارة الثقافة وبطريقة غريبة توارد إلى ذهني مسلسل لمشاهد تتضمن مآثر الفقيد ورعايته الحثيثة لجيل شعري هام في اليمن وتبنيه الصادق لتجاربهم ودأبه النوعي لصقل تلك التجارب التي أحدثت بجهوده النقدية تحوّلاً غير مسبوق في مسيرة الشعر اليمني الحديث وكان ذلك على حساب مشاريعه الأدبية اللافته.
إن جيل التسعينيات الشعري في اليمن مدين للأستاذ عبدالله علوان طيب الله ثراه بالكثير الذي لا يوصف فالرجل لم يألُ جهداً في التقويم الأدبي لهذا الجيل وتوجيه طاقات الشباب في طياته وتشذيب وتهذيب نتاجاتهم ودفعها للنشر ناضجة بإرشادات حكيم كان لها أثر انعكس عليه بزوغ أدبيات وشعريات جادة كوّنت طفرة إبداعية اتسم بها عقد التسعين وأسست للأجيال اللاحقة.
ولقد كان الناقد الكبير مدرسة ومؤسسة ومنبراً أدبياً وعلماً ثقافياً ثري المآل فأثرى عقول الأجيال الأدبية مثلما أثرت رؤاه المشهد والمكتبات والصحافة الثقافية في اليمن ومامقهى النخيل بشارع هائل في عقد التسعين والتي تحولت إلى مركز ثقافي ومنتدى ابداعي ينهل منه الأدباء الشباب مايغني عن تعلمه من الكتب والسير وماكان ذلك المد إلا منعطفاً رفد الواقع الأدبي الشبابي بأهم الأفكار التي يجب أن يستلهمها المبتدأ الشغوف بالشعر وفروع الأدب وبزخم عمل على تغليب خصائص المشهد يمنياً على مشاهد عربية وارتقى بحال القصيدة بالأخص إلى مصاف لم يبلغه جيل في ذلك السن وبإطار مفتوح الأفق بالنسبة للأدب الشبابي مع ما واكبه من حركة المشهد عربياً بل وتجاوزه أقولها ملء الفم وبالرغم من ذلك لا يمكن تعديد فضائل هذا العلم الثقافي والنقدي ودفق الإسهاب النقدي والتقييم الذي أولاه التسعينيون ليعطي لكل تجربة حقها ويمهد لها طريقها ويكتشف خصائصها ولم يكن المنشور الذي كتبه الشاعر علي جاحز على حسابه في الفيس بوك عقب سماعه بوفاة الأستاذ عبدالله علوان إلا دليل لانكسار تلميذ مات معلمه خاصة وتجربة جاحز خرجت جزئيات كبيرة منها على يد الفقيد وهي إشارة إلى حيثيات الاهتمام الغير متوانى الذي بذله رحمه الله بأبنائه الشعراء المتوافدين كماً وكيفاً إلى الساحة وعلي جاحز واحد منهم لذلك كان الأسى والتقصير يغمر ما سطّره الأخير في حق معلم
ورمز كان في طليعة رموز الأدب والنقد في بلادنا أنشغالاً ومتابعةً للتجارب الشبابية آنذاك على كثرتها وزخمها
أعترف ان من المعيب عليّ ككاتب حصر ماقدمه الأستاذ عبدالله علوان للفكر والثقافة والنقد والأدب في اليمن لقرابة نصف قرن في حيز صحفي ضيق كهذا وفي عجالة وتناول سيضاف بلا شك إلى طائلة التقصير الذي وقع ناقدنا الكبير تحت طائلته الأمر الذي حدا بي قطع عهد على نفسي أمام محمد القعود بالإقلاع عن قراءاة بيانات النعي التي تصاغ عقب رحيل قامات فكرية وثقافية تزيد من مفعول التأسي في النفوس وتبعث الحسرات في القلوب مضاعفة ً نظير عزف سيمفونيات العزاء الرسمي والنعي المؤسساتي المعتاد والذي غدا لعنة أصابت المشهد الثقافي في كبده .

لا جدال بأن الموت قدر كل الأنفس إنما متى سيموت عظماء هذا الوطن بكرامة تحفظ ماء وجه الوطن وأهاليهم وأدباء ومبدعي البلاد وهم كنزها الحقيقي ومتى سيسقط هذا الاجحاف المرعب بحق ملهيمنا الكبار .